معرض متكامل بدارة الفنون عن «الجدار والحواجز»:

أربعة تشكيليين ومخرج سينمائي يقدمون رؤيتهم الفنية لمعاناة الفلسطينيين!

عمان ـ «القدس العربي»
ـ من يحيى القيسي:

تستضيف مؤسسة خالد شومان ـ دارة الفنون في عمّان حتى الثالث عشر من نيسان (ابريل) المقبل المعرض المتكامل المخصص لموضوع (الجدار والحواجز) ويشارك فيه أربعة فنانين فلسطينيين هم: إميلي جاسر، رلى حلواني، طارق الغصين، دانا عريقات إضافة إلى عرض متواصل لفيلم (توتر) للمخرج رشيد مشهراوي...

ويقدم كل واحد من هؤلاء الفنانين رؤيته الخاصة بالكاميرا الفوتوغرافية وبالتلفزية لجدار الفصل العنصري الذي أقامته إسرائيل، وتلك المعاناة التي يعيشها السكان نتيجته، وأيضا بسبب الحواجز التي تقطع أوصال البلاد، وتجعل التواصل صعبا بين السكان، إضافة إلى رصد أحوال الفلسطينيين في أماكنهم وتمنياتهم الإنسانية في التواصل مع أهلهم في شتاتهم، وكل هذا يتم ضمن أساليب فنية عالية المستوى، تلتقط هذه الحالات لتدمج فيها المكان وانزياحاته بالسكان، وحركتهم اليومية، والاجتماعية، ولقد أتيح لهؤلاء الفنانين فرصة الحركة في فلسطين كونهم يحملون الجنسية الامريكية ما عدا مشهراوي، ولهذا أتت أعمالهم ذات طابع مغاير وجريء ربما.

أولى هذه التجارب للفنانة الفلسطينية إميلي جاسر، هي من مواليد الرياض وتعيش بين رام الله ونيويورك،وهو معرض فوتوغرافي بعنوان «من أين نأتي» ضم 31 صورة ملونة، وجاءت نتيجة قيامها بالالتقاء مسبقا مع عدد من الفلسطينيين داخل فلسطين وخارجها، وتوجيهها السؤال التالي: لو أستطيع عمل شيء لكم، في أي مكان في فلسطين، ماذا يمكن أن يكون؟

وقد أتاحت لها حريتها النسبية أن تنجز بعض الآمال الصغيرة، وتحيي بعض الذكريات لهؤلاء الأشخاص، وتصورها لهم، فمنهم من طلب أن تلتقي مع أمه لأنه لا يستطيع زيارتها، ومنهم من طلب أن تزور بيتهم القديم المهدم في مناطق 48، أو تدفع له فاتورة هاتف، أو تأكل نيابة عنه الصيادية الغزاوية أو الكنافة النابلسية، و هكذا تدرجت المطالب من الشخصي الحميمي إلى الأشمل.

أما في فيلمها (عبور سردة) الذي صورته بواسطة كاميرا محمولة في حقيبتها، وتطل من فتحة فيها عدستها، فهي تسجل من خلاله رحلتها اليومية على طريق رام الله ـ بير زيت عبر نقاط تفتيش إسرائيلية متعددة وصولا إلى عملها في الجامعة. حيث التدابير العسكرية الصارمة الأكثر تعقيداً والتي تحول دون تنقل البشر من منطقة إلى أخرى وما يصاحبها أحيانا من عواقب مدمرة، وهي تظهر فيها تلك القسوة المفرطة في تقسيم الأرض، ومنع الأهالي من السير عليها بسلاسة، بل تفرض عليهم معاناة يومية لا تحتمل، ولا فرق بين طفل أو امرأة أو شيخ مسن في قطعه لنحو كيلومترين من الطريق رغم تقلب الأحوال الجوية.

المعرض الثاني (صور للجدار) للفنانة رلى حلواني، وهي مولودة في القدس عام 1964وما تزال تقيم فيها، وتعمل مدرسة ورئيسة برنامج التصوير الذي أسسته في جامعة بيرزيت، وهي حاصلة على بكالوريوس رياضات وتصوير من جامعة كندية وماجستير دراسات تصويرية من جامعة انكليزية، وسبق أن شاركت في خمسة معارض جماعية في الشارقة وفرانكفورت وتكساس وباريس وهولندا ولندن والنرويج، وفي معرضها هذا تتناول عملية توثيق الجدار منذ بداية بنائه، وتقول عن ذلك: في كل مرة قمتُ فيها بتظهير الصّور كان كل ما أراه هو بشاعة الجدار وغضبي. وعندما وصل الجدار إلى نقطة تفتيش (قلنديا) بدأوا ببنائه في منتصف الطريق، طريقي إلى عملي. وتضيف: لطالما تخيلتُ أنه سيكون بإمكاننا زراعة الأشجار في منتصف تلك الطريق.

ورصدت حلواني في صورها وعملها الإنشائي مراحل بناء الجدار العازل مصورة بكاميرتين واحدة ابيض واسود واخرى «ديجيتال» بشاعة الجدار ولا إنسانيته، وترى ان الهدف من الجدار «الاستيلاء على مزيد من الأرض الفلسطينية»، وعن تجربتها في تصوير الجدار تقول «اردت ان اصوره في الليل، ربما لجعله يعلم انني لست خائفة، ذهبت وكان الجدار بشعا جدا، والأرض حزينة وخائفة، لم يكن هناك سوى الجنود، آلات ثقيلة ونباح كلاب، كنت مرعوبة ومعزولة، قمت بالتصوير خلال النهار لكن الذكرى الباقية لتلك الليلة موجودة في الصور».

الفنان الثالث المشارك هو الفوتوغرافي طارق الغصين وهو فلسطيني من مواليد الكويت ولم يعش في فلسطين، وهو حاصل على بكالوريوس وماجستير في التصوير من أميركا، وقد عمل مصورا صحافيا لعدد من المؤسسات الدولية والصناديق الخيرية كصندوق الملكة علياء وصندوق الأمم المتحدة وغيرهما ويدرّس حاليا في الشارقة، وعمله التركيبي الفوتوغرافي جاء بسلسلة تحت عنوان «بورتريه شخصي» أنجزها بين عامي 2002 و2003، وهو يقول مقدما لعمله « بدأ هذا المشروع كنتيجة لإحباطي المتنامي للطريقة التي يظهر فيها الفلسطينيون وبعض العرب في الإعلام الغربي من خلال تشويه صورتهم. وقد أثار انتباهي ذلك التشابه الصارخ ما بين أسطورة سيزيف وما تستطيع هذه الأسطورة أن تمثله في الصحافة الغربية التي تعاملت مع الانتفاضة مثل سيزيف نفسه حلقة مفرغة من الصراع المستمر. أما السلسلتان المتعلقتان بالحواجز فهما امتداد للمواضيع التي كنتُ بدأت استكشفها في السنوات القليلة الماضية. وخلال هذه العملية التي قادت إلى تلك الصور أصبح من الواضح لي كيف أن الحواجز، الشوق، والهوية تكوّن وتشكل وتوضح بعضها البعض».

أما المعمارية والمصورة دانا عريقات الحاصلة عام 2001 على بكالوريوس هندسة عمارة من جامعة بيركلي في أميركا فقد اختارت أن تقدم في معرضها (حدود تجتاز الأجساد) 60 صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود أنجزتها في عام 2003، وركزت من خلالها على التعابير التي تظهر معاناة المواطنين في تنقلهم بين الحواجز، ومن خلال الجدران، فثمة نساء مسنات، وأطفال رضع، وطلبة مدارس، وقد جاء هذا المشروع بدعم من جامعة بيركلي في امريكا. تقول واصفة تجربتها: «مشيت وسطهم بالكاميرا، تراكض الأطفال من حولي، انا فلسطينية اميركية، انا هم، انا لست هم. لماذا لا تخطين شعرك؟ سألتني فتاة في الرابعة من عمرها، ولن يطول الأمر حتى يقول لي ولد في التاسعة من عمره يقف الى جانبي أن «التدخين مكروه»، تبسمت لتعليقه وأنا اشهد ولادة التزمت تحت قوة الاحتلال».

بقي أن أشير إلى فيلم (توتر) للمخرج السينمائي رشيد مشهراوي المولود في مخيم الشاطئ بغزة ويعمل في رام الله، والذي سيتم عرضه بشكل متواصل، وهو ينقل صورة لما يتعرض له الفلسطينيون على الحواجز وحالات القهر والإذلال التي يمارسها الاحتلال ضدهم وحالة القلق والتوتر التي تغمر الحياة اليومية للناس، وقد عبر المخرج عن ذلك بالصمت، حيث يكتفي بالكاميرا التي تنقل أدق الحالات النفسية العميقة للحياة في ظل هذا الوضع الرهيب.

إن هذه المعارض التي تشتغل على ثيمة متقاربة، توفر فرصة للمشاهد أن يتعرف على تلك الحالة السريالية التي يعيشها الأهل في فلسطين، وعلى تلك المعاناة النفسية للأقرباء في المنافي والشتات، وهم يرقبون من بعيد، يمكن للمرء هنا أن يحس بضخامة جدار الفصل العنصري، ويستذكر تلك الآيات الكريمة التي تتحدث عن جبن اليهود، ومقاتلتهم من خلف الجدران، وما لذلك من دلالات يعيشون عليها، تستند إليها سياساتهم دون أن نعيرها انتباها، ومن الضرورة بمكان هنا أن تعرض هذه الصور على أبناء الغرب لكي يدركوا بشاعة التفكير الإسرائيلي والعزلة اللاحضارية التي يفرضونها على أبناء جنسهم، في الوقت الذي ينادي فيه العالم أجمع بضرورة الحوار.

لقد تباينت الطرق الفنية التي عبر بها الفنانون الخمسة عن تجاربهم، ولكنها في النهاية انصبت جميعا في الإشارة التي لا تخفى على كل بصير عن تلك الرحلة السيزيفية التي يعيشها الفلسطيني تحت حراب الاحتلال، و لتؤكد أن أعداء بمثل هذه البشاعة والظلم الأسود لا يمكن أن يتم التعايش معهم، فيبدو أنهم في واد، والعالم المتحضر في واد آخر..!

من جهة أخرى ترافق هذه المعارض سلسلة من النشاطات المختلفة في دارة الفنون ، ففي لقاء الخميس الفني سيتم عرض سلسلة أفلام باللغة الإنكليزية عن الفن في القرن الواحد والعشرين من تقديم جمانة قعوار هي: (إيحاءات) استقبال الفنان للإبداعات الفنية: لقاء مع دافيد بويي، روي ليختنشتاين وديل شيهولي إخراج مايكل أبتت. (فن المدينة : النجاح في مانهاتن) الصعوبات التي يواجهها الفنانون: لويز بورجوا، بريس ماردن واليزابيت موري. (فن المدينة: العواطف) شخصية الفنان وبماذا يتأثر: لاري بتمان، دافيد دويتش. (فن القرن 21: الموضوع قصص)، (فن القرن 21: الموضوع الزمن) وأخيرا فيلم بعنوان (فن القرن 21: الموضوع الفكاهة).

وضمن لقاء الأحد الأدبي سيجري عرض فيلم (مملكة السماء) إخراج ريدلي سكوت، تمثيل أورلاندو بلوم، غسان مسعود، وإقامة احتفالية، يتخللها حفل توقيع كتاب (آفاق ومرايا ـ مقالات في الفن التشكيلي) للفنان العراقي رافع الناصري. وأمسية شعرية للشاعر الفلسطيني أحمد دحبور.

وعرض للفيلم الصيني (جادا ميلين) قصة وإخراج فينغ إيكسيونينغ، ويقدم فنان الكاريكاتير عماد حجاج محاضرة حول تجربته الإبداعية وبعض الأعمال التي تناولت قضية الجدار والحواجز. ويختتم الأحد الأدبي بعرض لفيلم (السيد إبراهيم) عن رواية الكاتب الفرنسي إريك إيمانويل شميت، إخراج فرانسيس دوبيرون، تمثيل عمر الشريف.

عمل لعريقات (القدس العربي)

الجدار للحلواني(القدس العربي)

من فيلم لاميلي جاسر(القدس العربي)

فوتغراف لطارق الغصين(القدس العربي)

فرقة ناس الغيوان المغربية خرجت من رحم الفقر واستفادت من التراث

الدار البيضاء ـ من زكية عبدالنبي:

خرجت فرقة «ناس الغيوان» الغنائية المغربية من رحم الفقر وان كانت تلك الاحياء الفقيرة والمهمشة ينظر لها في احيان بشكل سلبي فان تجربة الفرقة تعارض من حيث المبدأ هذه الرؤية. فقد خرج اعضاء فرقة ناس الغيوان كمسرحيين في بداية الستينيات من القرن الماضي اولا ثم كموسيقيين في السبعينيات من حي مهمش فقير «الحي المحمدي» حيث كانوا يسكنون في منازل اقرب الى الاكواخ خصصت للعمال. ويصف قائد فرقة ناس الغيوان الغنائية وأحد مؤسسيها عمر السيد الظروف التي نشأت فيها الفرقة بانها كانت تلقائية وبلا تخطيط. وقال «لم تكن لدينا اي دراسة او تخطيط لانشاء فرقة غنائية.. كان لاعضاء الفرقة عدة مواهب.. التمثيل الغناء والحكي.

«صحيح اننا خرجنا من حي شعبي فقير لكننا حاولنا ما امكن الاستفادة من التراث الذي كانت تحمله امهاتنا بصفة خاصة «الحكي والقصص» وكذلك ثقافة الحلقة «الحكي الشعبي المغربي» والموسيقى الشعبية. وبدأت فرقة ناس الغيوان في بداية الستينيات بالتمثيل مع فرقة المسرحي المغربي الشهير الطيب الصديقي الا ان حبهم للغناء دفعهم الى التفكير في انشاء فرقة غنائية مع مطلع السبعينيات من القرن الماضي. ويقول السيد عن هذه المرحلة «لقد تعلمنا الكثير من الصديقي الوقوف على الخشبة «المسرح» واكتساب تقنيات المسرح والتعبير».

واستطاع اعضاء فريق ناس الغيوان ان يتألقوا ويلفتوا الانتباه اليهم داخل وخارج المغرب منذ نشأتهم ليس فقط لغرابة مظهرهم واشكالهم البوهيمية وموسيقاهم التي تمزج التراث الموسيقي المغربي المتنوع بل ايضا لكلمات اغانيهم الصادقة التي رصدت واقعا مغربيا في مجالى الحقوق السياسية والاجتماعية في تلك الفترة التي تعرف في الخطاب الرسمي «بسنوات الرصاص». ويعتبر النقاد مضمون اغانيهم تمردا على الاغنية الرومانسية التقليدية حيث غنوا للفقراء والتهميش وتفشي الفساد والظلم في المجتمع الى جانب قيم الحب والخير والجمال بلهجة مغربية كلاسيكية «لان اللهجة القديمة شاعرية ومليئة بالحكم».

ولا يعتبر السيد ان اغاني الفرقة لها علاقة «بما يسمى بالفن الملتزم» او «الاغاني السياسية» ويقول «لا يليق ابدا ان نقول اغاني ملتزمة.. الاغنية اعلى واسمى من السياسة ممكن القول اغنية تنويرية او انسانية».

ويضيف السيد الذي يعتبر من ابرز فناني الفرقة حاليا بعد وفاة الفنان ابراهيم بوجميع في اواسط السبعينيات والعربي باطما في اواخر التسعينيات ومرض علال يعلى وباكو حاليا «الفن سامي يجب على الفنان ان يصعد اليه ويلتزم معه.. وان لا نلبس للفن اية قضية».

ويروي السيد ان العاهل المغربي الراحل الملك الحسن الثاني بعث في طلب اعضاء الفرقة ليغنوا امامه سنة 1975 فبدأوا يغنون اغان ذات مضمون عادي لكنه طلب منهم ان يغنوا له الاغاني التي تغنى للشعب عن الظلم وخص بالذكر اغنية عن الرشوة. وقال السيد أن العاهل الراحل كان في قمة سعادته ولم يوجه لهم اللوم على هذه الاغنية. وكانت مفاجأة الجمهور المغربي كبيرة في الدورة الاخيرة لمهرجان مراكش الدولي للسينما عندما قال المخرج الامريكي مارتن سكورسيزي انه وظف اغنية «ياصاح» لناس الغيوان في فيلمه «الاغراء الاخير للمسيح». ووصف المخرج الامريكي موسيقى ناس الغيوان بانها «موسيقى الروح».

كما سبق للروائي الاسباني خوان جويتيسولو المقيم بالمغرب ان صور شريطا وثائقيا عن العلاقة بين ناس الغيوان والصوفية في المغرب. وقال ان الفرقة جاءت «لوضع ردود عن القلق وعن مطالب شبان المدن فقلبت اولويات القيم الثقافية في المغرب».

ووصف الباحث الاجتماعي الفرنسي جورج لاباساد الفرقة بانها «ثورة موسيقية وحقيقية سوف تقلب المشهد الموسيقي رأسا على عقب».

ويربط السيد بين نجاح الفرقة والوضع الذي تعيشه الاغنية المغربية حاليا «والانفتاح الاعمى باسم الحداثة»و«عدم التشبث بالهوية والاصالة المغربية».

ويرى ان «هناك هجوما كبيرا على الاغنية المغربية باسم الحداثة.. نحن لسنا ضد الحداثة. «هل الحداثة هي ضرب التراث.. لماذا اذن اليابانيون تقدموا مع انهم اكثر الشعوب حفاظا على تراثهم وهويتهم».

ويضيف «انا لست ضد الشبان الذين يغنون بلغات اجنبية وبالات غربية ... اعذرهم لان ذلك ما تقدمه لهم الفضائيات». (رويترز)

من نـافذة قطـارٍ مُتمهّـلٍ

محمد أبو لبن*

تماماً عند حدّ الأفق
تكاد أرضٌ تلامس سماءً
كأنهما تسيران في هذا المساء الهادئ
السماء سمينةٌ بغيم الشتاء المتلبّد
والأرض نحيلةٌ مُشكّلةٌ بالبرد،
تسيران على هديِ أغنيةٍ حزينة.

ثمّة ما يؤنسني استرجاعه في آخر هذا الشتاء
توهّج الحلم والخيال
أمام ضيق العيش
وقلّة الأمل
والتشابه الممتد على كل شيء...
أمام حياةٍ لفرط قسوتها تكاد تتكسّر أمام عيني طفلٍ
لا يملك لسندها غير حلمٍ وخيالٍ متوهّجين.

ما الذي ستحمله المحطة القادمة؟
تطير لهفتي نحو غيبٍ غائم الطرفِ
بضٌ الملامح،
غيبٌ لفرط هشاشته يكاد يذوي،
يحمل رائحة أناسٍ انتظروه بلهفةٍ... ورحلوا.
لقد رحلوا...
وما قالوه من كلامٍ رسمَ ظلّهم الأخضر
وتركه معلّقاً خلف الباب
يرنّ في كل حين مُعلناً اقتراب المحطة القادمة.
لقد رحلوا...
وزمنهم المشغول بخرز الحلم والأمل والانتظار
يأفل
قد صار ما قالوه من كلامٍ ماءً
أسقي به ذاك الغيب.

سماءٌ وأرضٌ تسيران...
هل كان هَديُ أغنيةٍ حزينةٍ ما سارتا عليه؟
أم أنّه وقعُ صخبهم، قد سار بالحياة حتى حدها الأقصى!
هو هكذا:
لتلامسَ أرضٌ سماءً ليس لها إلا بلوغ حدٍ أقصى.

ما الذي ستحمله المحطة القادمة؟
مدريد كانون الثاني (يناير) 2005

هناك... في دمشق

أغنية بعيدة المنال
فرحُكَ السرّي،
غامضةٌ،
لا يعكّرها وَقْعُ الأمل
وقد انكسر...
جالساً على عتبة الباب
مُسنداً ظل البيت بالانتظار،
لا شيء يحدوك
إنما:
هدوء الشارع لحظة انقشاع الظل عن وجهك
وعبور ابنة الجيران، لحظتها،
أعطوا لقلبك سبباً للعمل.
لستَ حزيناً صباح الجمعة
طاش من نومك حلمٌ
فشجّ صحوك
واختلط الزمان عليك:
كأنه يومٌ انقضى!
فالأشياء تشبه نفسها
... كأنها قبل قليل!
وكأنه بعد ما انجلى!
الحياة جديدةٌ كلها
... كأنْ لم تنكسرْ بمستحيل!
لست حزيناً صباح الجمعة...
لست حزيناً.

شمس أول الصيف
تلمّع رماديّ المدينة
وتُشعُّ في الغبارِ..
غبار كل شيء،
هباءٌ لأثرٍ بقي منه القليل...

تصل متأخراً آخر المشوار
في الطريق صدفةً،
أمسك حبٌ قديمٌ أذنك
وهمس:
تبدو أكبر من عمرك،
حائراً أكثر
وودود!
صرت كذلك؟
أم أنني من جديد
أرسمك حبيبي؟
... في الطريق صدفةً
انفرط منك عقد الكلام،
دفقُ العاطفة،
وعالمٌ بك ماد...
لم لا يضيع طريق عودتك من الحلم مرةً
فتمشي طريقاً لآخره!
وطار قلبك.. طار
حتى صار أغنيةً:
أنا اسمي ما أُبصرُ من مدىً
يقصو بعد حدّ الخيال
واسمي ما انقضى من زمن
أو ما علقَ من أثر المُحال
واسمي ما أمسكتُ بحصوة الآنِ
الزّلقة سريعة الزوال...
وكان سَيلٌ من صخبٍ
وفقرٍ
وضجر...
يطأ المدينة لحظتها،
ولحظتها كان ألقٌ
يرتدي الغيم قبعةً
ويشدُّ الرحال...

***

وهدةٌ بنهرٍ عجوزٍ وجبل
تطيل النظرَ
في نفسها حيناً،
وأحياناً في أثر المُنتَظَر
فحيناً تُغرِّبُ في نفسها
وأحياناً تُشعل في الناس نجم السفر...

---

* شاعر من فلسطين يقيم في مدريد